

على هامش زيارة ولي العهد السعودي الى تونس: لشارع التونسي.. الاستثناء العربي



اسيا العتروس

لم تدم الزيارة أكثر من بضع ساعات التقى خلالها الرئيس الباجي قائد السبسي ضيفه ولي العهد محمد بن سلمان قبل أن يغادر الى العاصمة الارجنطينية بيونس ايرس لحضور اشغال قمة العشرين... احتفى فايد السبسي بضيفه على طريقة الكرم التونسي والديبلوماسية التونسية المعهودة رغم كل المظاهر الاحتجاجية الراضة للزيارة في الخارج.. ولم يشأ البروتوكول احراج الضيف بتنظيم ندوة صحفية مشتركة تحسبا لما يمكن أن تؤول اليه في ظل الاتهامات والشكوك التي تلاحق ولي العهد السعودي منذ تأكيد السلطات السعودية جريمة اغتيال جمال خاشقجي في مقر قنصليتها باسطنبول قبل شهرين.. لا نعرف ان كان مستشارو الامير الصغير، وليس المقصود امير سانت اكسوري، اطلعوه على ما رافق الزيارة الى تونس من وقفات احتجاجية للمجتمع المدني ولنقابة الصحفيين والاحزاب السياسية و لا نعرف موقف الامير منها بل الاكيد أن موقفه ليس مهما بقدر أهمية المشهد التونسي الديمقراطي المتوثب الذي لا يمكن لاي سلطة أن تحاصره أو تمنع تحركاته كلما تعلق الامر بحرية الراي والتعبير وهو ما يتعين على الامير الشاب، الذي يبدو أنه يحظى على الاقل حتى الان بدعم الرئيس الامريكى، أن يدركه ليدرك أن عالم اليوم الذي تسيره العولمة لم يعد يقبل ثقافة وعقلية الزعيم والقائد الاوحد او الحزب الاوحد وأنه لن يكون بامكان أي كان حتى وان كان ولي العهد السعودي ومهما كان حجم نفوذه منع أو مصادرة انتقال المعلومة... ويكفي ما حدث للخاشقجي في مقر قنصلية بلاده رغم كل محاولات النفي والتعتيم على الجريمة للتأكيد على ذلك ...

لسنا نسبق الاحداث ولا ندعو الى نصب المشانق فالتاريخ وحده ولا نقول القضاء وحده كفيل بكشف ما خفي

من هذه العملية الاجرامية وملابساتها أو ما اذا كان الامر يتعلق بمؤامرة محبوكة لمزيد خنق المملكة ودفعها دفعا الى صفقة القرن أو ما اذا كان الامر يعكس ما يمكن أن يبلغه الطغيان اذا استبد بصاحبه...وكل سلطة مطلقة تبقى مفسدة مطلقة حسب العلامة ابن خلدون ..

ومن هنا أهمية الاشارة الى أن ما رافق و يرافق هذه الزيارة من تحركات احتجاجية وما عاشت على وقعه عديد المؤسسات الاعلامية والحقوقية هيئات المجتمع المدني الفاعلة خلال الساعات القليلة الماضية من تعبير عن رفضها لزيارة ولي العهد السعودي تنزل في اطار ما تكفله الديمقراطية التونسية ودستور 14 جانفي من ضمان للحريات الامر الذي قد لا تقبل به أنظمة عربية واسلامية لا تقبل بصوت الشارع ولا تسمح بدور فاعل لاحزاب المعارضة التي تريد لها أن تظل في دورالمتفرج وفي أفضل الاحوال في دور المعارضة الطيبة .. بل لعلنا لا نجانب الصواب اذا اعتبرنا أن هذه القوى الاحتجاجية والحقوقية والنقابية لم تكن لتتردد في توجيه سهام النقد الى درجة السخرية الى أعلى رموز السلطة في تونس دون أن تخشى ردة فعل ضدها , وهو ما يعني أن الهوية التونسية اليوم هوية ديموقراطية استثنائية مهما حاول البعض الاستخفاف بها او الترويج لخريف تونس الزاحف .. وربما يتكرر هذا المشهد الاحتجاجي من جانب عديد الاحزاب والمنظمات الحقوقية مع زيارة وزيرالخارجية السوري وليد المعلم المرتقبة الى تونس وهو ما يؤشرالى تكريس الخيار الديموقراطي في تونس , وأنه سيكون لزاما على من يختار بلد ثورة الحرية و الكرامة وجهة له أن يضع في الحسبان هذا الواقع التونسي الجديد ...

صحيح أن تونس تعيش أزمة اقتصادية و سياسية عميقة , وأنها تحتاج لاستثمارات واعدة تساعد على تجاوز بعض من صعوبات كثيرة تعرقل مسيرة هذا البلد و توفر بعض الافاق المستقبلية وفرص التشغيل التي يمكن أن تدفع الى الحد من أزمة الثقة العميقة بين النخب السياسية و السواد الاعظم من الرأي العام , ولكن الاكيد أن تونس هذا البلد الصغير في حجمه الجغرافي الكبير في تطلعاته واحلامه لا يمكن أن يقبل بالابتزاز والمقايسة عندما يتعلق الامر بالتراجع أوالتنازل أوالقفز عن أهم وأفضل المكاسب التي ارتبطت بالمسارالديموقراطي وهي حرية الرأي والتعبير,وهذا ما يتعين على من يجعل تونس محطته ان يدركه ويتعامل معه بنفس العقلية ...

ومهما يكون حجم المساعدات الخارجية فالاكيد أنها لن تحل ازمات التونسيين العالقة , والاكيد ان خلاص تونس من ازماتها الاقتصادية والسياسية لن يأتي من خارج الحدود بل ان الخلاص مرتبط بأيدي التونسيين وحدهم الذين بإمكانهم انقاذ البلاد من الكساد والانهيال ..

وبالعودة الى زيارة ولي العهد السعودي المحتملة اليوم نقول صراحة أن جريمة خاشقجي بكل فظايعاتها قد كشفت الوجه الحقيقي لدعاة قيم العدالة الزائفة واسقطت الكثير من الاقنعة وكشفت حجم وعمق الرياء والنفاق السياسي للقوى المتنفذة عندما يتعلق الامر بلعبة المصالح والصفقات العسكرية والنفطية وهو ما جسده الرئيس الامريكي بامتيازو معه الرئيس التركي الذي يستعد للقاء العاهل السعودي في الارجننتين ..لسنا في اطار محاكمة النوايا ,ولكن و في انتظار ما سيتمخص عن لقاءات مجموعة العشرين فان الاكيد

أن تونس كانت واضحة في مواقفها منذ البداية بشأن جريمة خاشقجي ولم تجانب الصواب في الاصرار بكشف الجناة و ملاحقتهم .. و سيتعين على الدبلوماسية التونسية أن تكون في حجم القيم و المبادئ التي التزمت بها والتي تفرض احترام شركاءها لها ..

أخيرا وليس اخرا قد يكون فريق مستشاري ولي العهد السعودي والمحيطين به اخطأوا في اختيار توقيت جولة ولي العهد السعودي وما يرتبط بها من أهداف ورسائل للداخل والخارج , وأنهم ربما تعجلوا القفز على تداعيات ملف خاشقجي معتمدين في ذلك على الموقف اللين للرئيس الامريكي دونالد ترامب والذي فاقم الشكوك بتصريحاته الاخيرة بأنه " لولا المملكة لكان الحليف الاسرائيلي في وضع خطير" وهو أيضا ما يفتح المجال لاكثر من سيناريو بشأن صفقة القرن والعلاقة المستقبلية بين الرياض و بين الكيان الاسرائيلي ..

وستفرض علينا الهوية التونسية والعقلية الديمقراطية متابعة ما يحدث من تحولات متسارعة دون رياء أو نفاق ...لا نعتقد أن لقاء ولي العهد برئيس البلاد يمكن أن يمنحه الحصانة في حال ظهور مزيد الادلة والحجج التي تثبت تورطه في جريمة خاشقجي ولكن يمكن أن يتعلم لوأنه شاء أن الديمقراطية ثقافة وعقلية وحقوق ومواطنة ...

هل أخطا الباجي باستقباله ولي العهد في بلاد الثورة الناشئة ؟الأكيد أن الباجي فائد السبسي أتقن فنون اللعبة الدبلوماسية ووجه أكثر من رسالة لاكثر من طرف في صفوف خصومه او حلفائه بأنه لا يزال يمسك بزمام الامور وأنه من يمثل تونس و الدبلوماسية التونسية في الخارج كما في الداخل ..

كاتبة من تونس